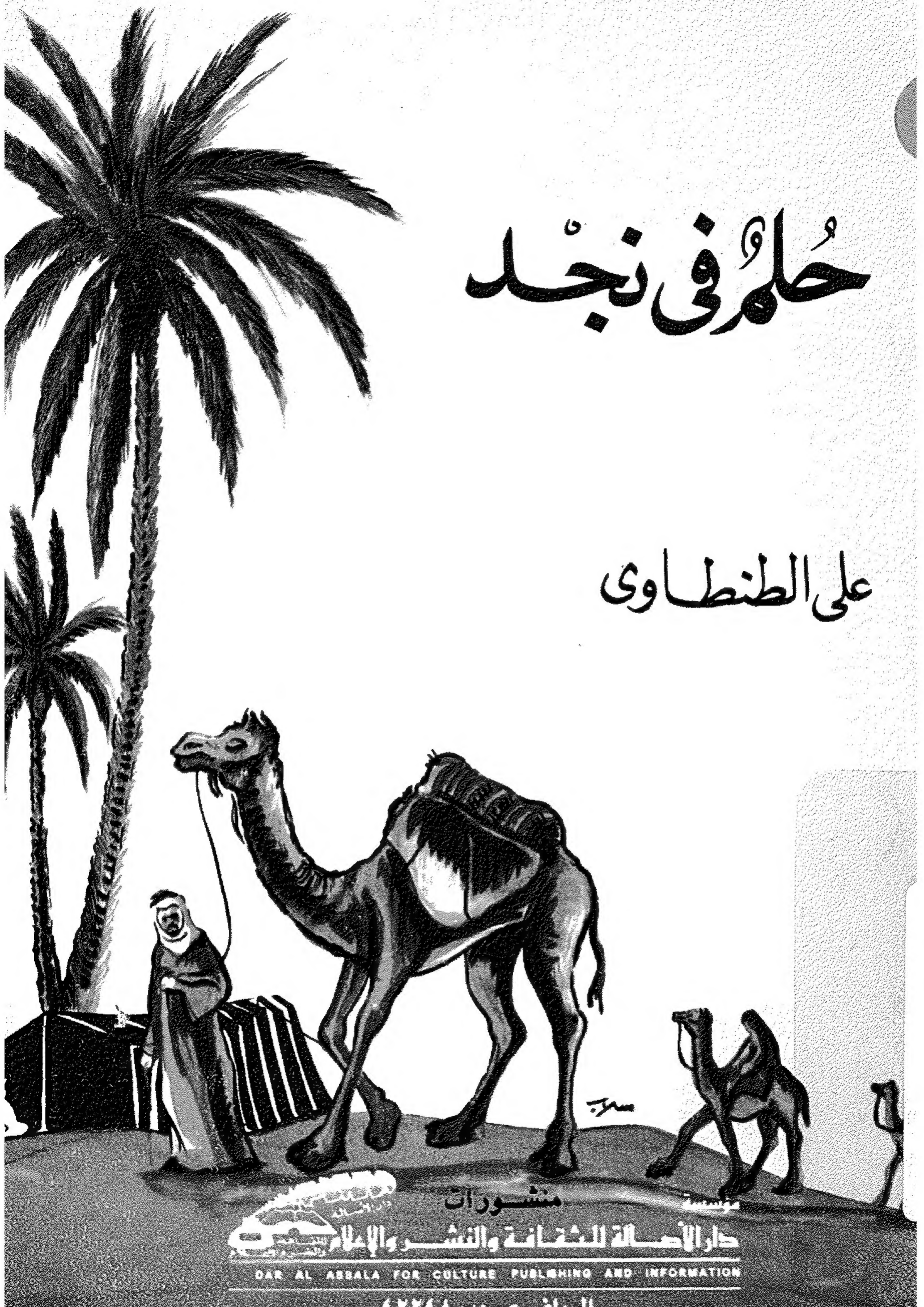


# حلم في نجد

على الطنطاوي



منشورات

مؤسسة

دار الأبالا للثقافة والنشر والإعلام

DAR AL ABBALA FOR CULTURE PUBLISHING AND INFORMATION

الرياض ١١٦٦٤





حُلُمٌ فِي نَجْدٍ



# حُلمٌ في نجد

عَلَى الصَّنَافِي

منشورات



مؤسسة

دار الأبهلة للثقافة والنشر والإعلام

DAR AL ABHALA FOR CULTURE PUBLISHING AND INFORMATION

الرياض ص ٠ ب ٤٢٢٤٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ - ٢٠٢١ م



مؤسسة دار الأصاله للثقافه والنشر والاعلام  
س.ت ٣٩٨٦٤ ص.ب ٤٢٤٨ الرياض المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





إشارة



نجد هذه الرقعة الواسعة التي تتوسط شبه الجزيرة  
العربية تغنى بها الشعراء العرب الأوائل والمحدثون وأكثروا.  
حتى لا نجد شاعراً لم يذكرها في شعره. بل لقد ذهب الأمر  
ببعضهم إلى جعل نجد أمماً يثها آلامه وشجونته. الأمر  
الذي جعل شعرهم مليئاً بالحنين إلى نجد. حتى إن  
(صباها) أصبح ملازماً لذكرها. يقول الشاعر (ابن  
الدمينة) في داليتة. والتي هي من أعذب وأمتع ما قيل في  
نجد.

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد  
لقد زادني مسراك وجداً على وجد

ويقول آخر :

سقى الله نجداً والسلام على نجد  
ويا حبذا نجد على القرب والبعد

فالشعر في نجد يذكي الأحاسيس ويطرب النفس  
بأعذب الألحان. وهذا دليل واضح على التصاق الإنسان  
بالأرض التي يقطنها وتكون أول ما تكتحل بها عيناه.

وقد سعدت (دار الأصالة) بموافقة أديبنا الكبير  
وأستاذنا الفاضل (على الطنطاوي) حينما كتبت له الدار

مستأذنة طباعة هذه الإضمامة الأدبية الرائعة (حلم في نجد) فتكرم بالإذن ولم يقتصر على ذلك وإنما شفع الإذن بالترحاب البالغ. على أنه — وبتواضع جم — أُلح على أن هذه لا تشكل شيئاً ذا بال، ولا تستحق أفرادها في كتيب.

إلا أن (دار الأصالة) إيماناً منها بما لنجد من مكانة خلدها الشعراء القدامى والمحدثون وما للشيخ الفاضل من مكانة في النفوس لدى العامة والخاصة. وبما يمتاز به أسلوبه الرشيق وبيانه القوي من جمال فني إضافة إلى بلاغته وعمق ثقافته وتشعب إطلاعه.

إيماناً بكل ذلك. تقدم (دار الأصالة) هذه الإضمامة الممتعة. والتي كتبها أديب العربية (علي الطنطاوي) قبل سنوات. ونترك القارئ الكريم الذي عودناه على كل جيد مع أسلوب الطنطاوي في تناول الموضوعات وبيانه الرائع في الاسترسال والذي لا يستطيع القارئ أن يغادره حتى يأتي عليه من فرط الأسر البياني الذي يهيمن عليه حين يقرأ مقالات ودراسات وأبحاث الشيخ (الطنطاوي).

مؤسسة دار الأصالة

الرياض

## مقدمة المؤلف

يا قوت الحموى ما ألف كتابه (بجمع البلدان) حتى طوّف في  
البلاد - ورأى أقاليم الارض - ثم يقول: ان مواليها الجمال تدرى:  
فمنها مشى - وشعب توان - ونهر اهدية - وهي التي تنقى اليوم  
بر (ابو النصب) عند البصرة  
وقد فطر المليون كلاً - وسلكه او فازها شعراء العرب -  
واوا يدرى اهل مكة - فدلّ قالوا في ذلك كذا ما قال الشعراء يدرى  
في تدلّ نجد - واودع الخبز ؟  
هل كانت تلك القفار اهل به يساتر اناس - وجهات احمدسى - اللهم  
كانوا اشعر - وكانوا حشون بالجمال اكثر - وكانوا مع البصر عما حشون  
انده ؟  
ولوان اربا تتبع ما قلّ خ نجد - بخار مع مكدكر - وانا ما  
عمدت ا هذا - وما اردته - وما اضر عليه - وانا كنت ارون ما عرّ  
ى به اتعا - نجد - فادعت ما اجمع لى في مدّة قصيرة هذه  
المقالة



انما قاله ، ليست كتابا قوضع المصنفات ، وكلامه ابرغ  
 صاف دار ارضالا اى نرشا وصدرا تحية منه ، ومنى لجد  
 راهب . وكلفى ان اكتب كل . به به به .  
 ووسط بنى وبنه صدق قدم امه ، واربع فاضل احمد  
 صد افى استاد محمد سعد الطورى ، وهل الملك ان ارر طلبا  
 لادستاد السعد ؟

فله ولنا اثر شدى . وللعاد ازكى سلامى  
 كده الملة :  $\frac{6}{7}$  على الطورى

غدوت أكتب مقالاتي في جلسة واحدة، لأصبر على  
الابتداء بتسويدها، ولا على الانتهاء إلى تحريرها. ولكن  
هذه المقالة شغلتني ليالي وأياماً، أجمع لها الشواهد،  
وأتألف الشوارد، ففكرت فيمن أهديها إليه، فلم أجد  
أحق بها منك. لأنك ابن نجد، أبوك الشيخ عبد الله بن  
حسن قاضي قضائه، تشرفت بلاقائه والاقتراس من معينه  
منذ أكثر من ثلث قرن، وجدك الشيخ محمد بن عبد  
الوهاب معجزة نجد، ومجدد الإسلام في هذا العصر.

وما كنت يوماً ممن يتزلف إلى وزير، أو يتصاغر أمام  
كبير، ولكن كنت ممن يقدر الفضل، ويكبر النبل.

فأنا أهديها إليك لفضلك ونبلك لا لأنك وزير  
المعارف.

ركبت القطار من خمس سنوات، من الرياض إلى  
الظهران، وكان يطوي بنا الأرض، والذهن يطوي بي

---

(١) كتبت هذه الإضامة حينما كان الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ وزيراً للمعارف

العصور، أنظر من وراء البلّور وأنا في مثل نشوة الخمر  
أقول: هذه نجد؟ فأين صباها وأين صباياها؟

أين الصبا كان يهت على قلوب الشعراء، فيذيقها من  
الحنين شعراً يترع البید والحضر؟ أين الصبايا اللواتي  
خلدن في الأدب قصائد لا تفنى وإن فني العمر؟

كيف أوحى هذه التلال المقفرة، وهذه الرمال  
المتسعة بما لم توح بمثله جنات الشام، وأودية لبنان، حيث  
الظل والماء، والأيكه الغناء. والسواقي تتحدر من القمم  
المعتمة بالثلج، تتكسر تحت عين الشمس، كأن في كل  
ساقية مئة ألف حجر من غالي الالماس<sup>(١)</sup>، ثم تخطر على  
السفوح الكاسية بأثواب الزهر، العابقة برياً العطر؟

كيف كسوا تلك الصحاري من أديهم ثوب الخلود،  
وقالوا فيها مالم نقل مثله وعندنا هذي الجنات.

الآن القوم كانوا أمة البيان، كانت لهم عيون تتبع  
الحسن، وقلوب تهيم بالجمال، وألسنة تصف ماترى العيون  
وتحس القلوب، فما لشعرائنا في هذا الزمان؟!!

(١) مفرد الالماس ولامه أصلية فهو الالماس لا الماس.

وجعلت أعرض في ذهني ماقيل من الشعر في نجد،  
ويا ما أكثر ماقيل في نجد من الشعر، وسبقت إلى ذاكرتي  
أبيات للشاعر الأموي، المتنبي الصغير، (الابوردي) وكنت  
قد أولعت بديوانه حيناً، وكتبت عنه في (الرسالة) من  
أربع وثلاثين سنة، فشعرت به يتمثل لي، فكأنني أراه  
قاعداً أمامي في القطار. ومعه صاحبان له، وكانوا  
يتهامون وكأنه يحدثهما عن سواف أيامه في نجد، ثم رأيت  
يبكي ويدعوها أن يبكيا معه أيام نجد، لأنه لم يجد بعد  
نجد مثل نجد.

يسألها أيعينان هذا القلب المعمود، على بكاء تلك  
العهود، أم ينسيان الود، وينقضان العهد؟

ويدعو عليها إن هما لم يفيا — لا بالموت، بل بما هو  
شر من الموت، وهو ألا تبصر عيونها علمي نجد، ولا ترعى  
ركائبها حماه:

هلم نبك على نجد وساكنه  
فلن نرى بعد نجد عيشة رغدا  
ودع هذيماً، فقد طاف السلوبه  
وعن قريب نراه يلتوى كمدا

اتخذلان فؤداً شيقاً علققت  
به الصبابة إن أتهمتا حسدا

أم تنقضان عهداً كنت أبرمها  
إن تنقضاهما فلا لقيتاً رشدا

ولا رأت علمي نجد عيونكما  
ولا رعى بالحمى نضواكما أبدا

فرأيتها يبكيان معه، ويسعدانه على أحزانه، حتى إذا  
هدأ وهدأ رأى شيئاً أثاره، فنظرت فلم أرَ إلا شجيرات  
خضراء شديدة الاخضرار يمر عليها القطار فعرفت انها  
الغضى واذ به يقول، يخاطب صاحبيه:

خليتي هذا ربع ليلي بذى الغضى  
سقى الله ليلي والغضى وسفاكما

فقد كنتا لي مسعدين على البكا  
فما لكما لاتسعدان أخاكما

أظل وحيداً لأرى من أحبه  
وهل بالحمى لي من خليل سواكما



ولو غاب عني واحد منكما وهت  
قوى الصبر لأوهى الزمان قواكما

فكيف أذود الهم عن تجلدا  
إذا غبتا عن أرض نجد كلاكما

ومر القطار ولاح لنا على البعد جبلان، يلوحان على  
حواشي الأفق، تضيع أعاليها في ألق الأصيل وإذا بي  
أرى شيخاً جليلاً، قد دخل القطار لست أدري من أين  
جاء، وراءه نفر تعلوهم مهابة ووقار، وإذا بالشيخ يرنو إلى  
الجبلين، ويكلمهما، يسألها ويناديهما كأنها يسمعان النداء  
ويدركان السؤال، يقول:

أيا جبلي نجد أبينا سُقيتا  
مق زالت الأظمان، يا جبلان

أناديكما شوقاً، وأعلم أنه  
وان طال رجع القول لاتعبان

وسكت ساعة حتى غابت الشمس وظهر الليل، فعاد  
يقول:

أقول وقد مد الظلام رواقه  
وألقي على هام الربا بجران

نشدتکما أن تضمّراني هنية  
لعلّي أرى النار التي تریان

ففا صاحبّي اليوم أسال ساعة  
ولا ترجعما سمعي بغير بیان:

هل الربع بعد الظاعنین كعهده  
وهل راجعٌ فيه عليّ زماني

فعلمت أنه سيد شعراء الغزل صاحب الحجازيات،  
أمیر العشاق الشریف الرضي، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا  
قائم إليه أحييه وأبثه قديم حبي له، وإكباري إياه. واني  
كتبت عنه صفحات هي الشعر وان لم توزن بميزان  
الخليل، فأنس بي وجعل يحدثني وقد سكرت من حديثه،  
كأن في فيه الخمر، وفي كلامه السحر، ولحظ ذلك مني،  
فجعل يهزني، ويناديني فصحت وقلت:

— نعم؟

— قال : أما تحس نسيم الشيخ من نجد؟

فنظرت فاذا أنا قد رددت إلى حاضري، فلا أشم إلا

هواء القطار (المكيف)، فسكت. فلوى وجهه عني يقول:

ولقد أقول لصاحب نبيته  
فوق الرحالة والمطّي رواق

مع أننا كنا في قطار (الديزل) لافي قطار الابل.

أوما شملت بذى الابارق نفحة  
خلصت إلى كبد الفقى المشتاق

فجنى نسيم الشيع من نجد له  
حرق الحشا وتحلب الآماق

أها على نفحات نجد إنها  
رسل الهوى وأدلة الأشواق

ثم أطرق، وجعل يحرك شفّتيه يناجي ذكريات له  
بعيدا مداها، فقلت له مباسطاً:  
— أين أنتم يامولانا؟ قال:

كأننا بنجد غداة الوداع  
نصادي عيوناً من الدمع رمدا

وأيسر مانال منا الغليل  
ألا نخس من الماء بردا

وغلبه الحنين، فتركته، فوقف إلى نافذة القطار، ينظر  
في سواد الليل، وأطلق نفساً طويلاً، خلت أضلاعه  
تقطع منه، وهمس للريح بشيء، فدنوت فأصغيتُ، فإذا  
هو يسأل الريح ان هي لم تحمل اليه حبيبه ليشم عبقه،  
ان تحمل نفسه هو إلى حبيبه، وإذا هي احدى روائعه  
التي يقول فيها:

خذي نَفْسِي ياريح من جانب الحمى  
فلاقي به ليلاً نسيم ربا نجد

فان بذاك الحي إلها عهدته  
وبالرغم مني أن يطول به عهدي

ولولا تداوي القلب من ألم الجوى  
بذكر تلاقينا قضيت من الوجد

ولكنه لا يشفى ولو تداوى، لأن المرض يتجدد له كلما  
رأى متألماً، أو سمع شاكياً:

واني لمجلوب لِي الشوق كلما  
تنفَس شاكٍ أو تألم ذو وجدٍ

ورثيت له هذا الداء، الذي يستعصي على الدواء،

وسأله ماسببه؟ فقال، ان سبيه شم الشيخ في نجد:

شممت بنجد شيحة حاجرية  
فأمطرتها دمعي وأفرشتها خدي

قلت : لماذا شممتها يامولانا، انما يشم مثلك الورد  
والفل لا يشم الشيخ والقيصوم؟.

قال : ذكرت بها ريا الحبيب على النوى.

قلت : وهل وجدت فيها مشابه من ريح الحبيب؟

قال : وهيات ذا يابعد بينها عندي.

وأقبل رجل (ديلمي) يتشبه بالسيد القرشي، يقلده في  
حركاته وانشاده و(يابعد بينها) فالشيخ الشريف يصدر  
عن طبع، وهذا عن صناعة، وذاك نبيل وهذا يتنبل.

وليس التكحل في العين كالكحل.

ووقف يصرخ كأنه يخطب في أهل نجد:

أيا أهل نجد كيف بالغور بعدكم  
بكاء تهامتي ييم بمنجد

ملكتم عزيزاً رقه فتعطفوا  
على منكر للذل لم يتعود



اغدراً وفيكم ذمة عربية  
وبخلاً، ومنكم استفاد ندى اليد

ثم انتقل من الصراخ إلى النحيب، وابتدره القوم  
يلومونه، يأخذون عليه بكاءه ويتهمون في حبه، فقال:

دعوني فلي ان زمت العيس وقفة  
أعلمُ فيها الصخر كيف يلينُ

وخلوا دموعي أو يقال، نعم، بكى  
وزفرة صدر أو يقال حزين

فلولا غليل الشوق أو دمة النوى  
لما خلقت لي أضلع وجفون

وفي الركب أنى أنجد الركب حاجة  
أجل اسمها أن تُقتضى وأصون

وعوذني عراف نجد بذكرها  
فأعلمني ان الغرام جنون

وكانت مقطوعة من مطبوع الشعر، سما فيها فوق أفقه،  
وعلا فيها عن عادته فأعجبوا بها وطربوا لها ولكن رجلا  
غريباً قام كالحائف المذعور، وقال، اسرعوا وبحكم

واهربوا العجل. العجل.

فدعروا — وقالوا: ومم الهرب؟

— قال : من الوباء، ان في هذه الأرض مرضاً،  
ينبت فيها كما ينبت العشب هو مرض الحب النابت في  
القلب وكم من صحيح خلّي الفؤاد، نزلها مصباحاً معافي  
فلم يمس عليه المساء حتى عراه الداء فصارت له ليلي  
يهتف باسمها، أو لُبْنَى يهيم بحبها:

النجاء النجاء من أرض نجد  
قبل أن يعلق الفؤاد بوجدٍ

ان ذاك الثرى لينبت شوقاً  
في حشا ميّت اللبانات صلد

كم خلّي غدا اليه وأمسى  
وهو يهذي بعلوة أو بهند

بحديث اذا سمعناه لم ند  
ربخمر فضحنا أم بشهد

أنفت من براقع الخز والقرز  
خدود قد برقعوها بورد

أمقاما بمعاليح والمطايا  
عرض يبرين بالظعائن تخدي

لا الحمى بعدكم متاح ولا ماء  
اللىوى إذ هجرتموه بسورد  
قالوا : أنت يا (صرد) تدعى الشوق بلا دليل، فقال:

ماتريدون من دلائل شوقي  
غير هذا الذي أجن وأبدي

ورأيت اعرابيا (لا يعرف اسمه أحد) يشب إليه، وقد  
أغضبه أن يقول شاعر أن في نجد داء يفر منه الاصحاء.  
واطلق يدافع عن نجد، فقال:

فيا حبذا نجد وطيب ترابه  
إذا هضبتة بالعشي هواضبه

وريح صبا نجد اذا ماتنسمت  
ضحى أوسرت جنح الظلام جنائبه

وأشهد لأنساه ماعشت ساعة  
وما انجاب ليل عن نهاريعاقبه

ولا زال هذا القلب مسكن لوعة  
بذكراه حتى يترك الماء شاربته

ومثلت إلى جنبه بدوية، عرفت معها كيف تسرق  
الغيد عيون الغزلان، وكيف تميز بغصن بان، وعذرت  
أحمد لما ادعى ان:

حسن الحضارة محبوب بتطرية  
وفي البداوة حسن غير محبوب

فانعقدت لمرآها الألسنة، وتعلقت بها الأنظار، وقالت  
كلما طوبلا ما (حفظوا) منه إلا هذا البيت:

ألام على نجد ومن يك ذا هوى  
يهتجه بعد السلو مرابعه

ونسي (التهامي) مُصَابُهُ بولده الذي أبقي ذكره في  
الأدب بتلك المراثية الرائية التي كانت في الشعر مثل  
المعجزات وتعلق بهذه الشاعرة البدوية الحسنة فناداها  
فداناها وتمايل العنقان، وتقارب الرأسان، واحسست أنها  
يتساقيان مابقي في كأسيهما من خمر غرام قديم — حتى  
ذهبت فلاموه عليها فقال:

اهتَزُّ عند تمنى وصلها طربا  
ورب أمنية أحلى من الظفر

صحيح والله إن أحلام الوصال، ألد من الوصال

ولا يعرف هذا إلا مَنْ جرَّبه:

تجني عليّ واجني من مراشفها  
ففي الجنى والجنايات انقضى غمري

اهدى لنا طيفها نجداً وساكنها  
حتى اقتنصنا ظباء البدو في الحضر

يريد أن الظبية قد صيدت في القطار!

وكان في القوم رجل ساهم واجم، تشغل ذهنه معضلة  
لا يعرف حلها فكلما تكلم متكلم أو أنشد منشد. جذبه  
من كفه وسأله عنها، عن (الحمام الورق):

أتظن الورق في الأيك تغني؟  
فإذا أخبره أنها تغني، عجب من جهله، وأعلمه أنها  
لا تغني (أنها تضر حزنًا مثل حزني) فإذا لم يجبه دعا  
عليه:

لا أراك الله نجداً بعهدها  
أيها الحادي بها ان لم تجبني

ثم يخلو إلى ذكرياته، فيتاجي سواف أيامه في  
الحجاز:



يا زمان الخيف هل من عودة  
يسمح الدهر بها من بعد ضنّ

أرضينا بثنّيات اللوى  
عن (زرد) : يالها صفقة غن

سل أراك الجذع هل جادت به  
مزنة روت ثراها مثل جفي

وأحاديث الغضى، هل علمت  
انها تملك قلبي قبل أذني  
وأهاجته الذكرى، فصاح، والتبط به، فقال القوم قد  
جن، (ابن سنان الخفاجي) قد جن فقال — ابن الخياط  
— أنا أداويه، لأنني أعرف مرضه، انه ما أطار له إلا صبا  
نجد، وإنني مداويه بالتي كانت هي الداء، فن يجزعه  
الدواء؟

فقام اثنان من الشعراء. فقال لهما، ان الدواء خطر  
وإنني أخاف أن يشفيه ويمرضكما.  
قالا : ما عليك منا فهاته، فقال:

خذا من صبا نجد أماناً لقلبه  
فقد كاد رياها يطير بلبه

وإياكما ذاك السنسيم فإنسه  
إذا هبّ كان الوجد أسر خطبه

فقالا — وما الوجد؟ ومتى كان الوجد خطبا؟ فرثى  
لها من جهلها وقال لهما:

خليلتي لو أحببتا لعلمتا  
محلّ الهوى من مغرم القلب صبه

قال له رجل: أنا لأعرف ما الحب، فقل لي كيف  
أحب؟

قال:

تذكر فذو الذكرى يشوق وذو الهوى  
يتوق، ومن يعلق به الحب يصبه

غرام على يأس الهوى ورجائه  
وشوق على بعد المزار وقربه

وفي الركب مطوى الضلوع على هوى  
متى يدعه داعي الغرام يلبّه

ولما هب صبا نجد تداوى به الشاعر المصروع، ولكن  
صرع الشاعر العاشق — ابن الدمينة — وراح يسائل

الصبا:

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد  
لقد زادني مسراك وجداً على وجد

ثم تراجع واستحيى وقال لنفسه يؤنبها:

أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى  
على عُصن غصن النبات من الرند

بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن  
جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي

فصاحوا به: لماذا التشوق إلى نجد وأنت في نجد، أفما  
يشفيك القرب، من لوعة الحب قال:

وقد زعموا أن المحب إذا دنا  
يملّ وأن البعد يشفي من الوجد

بكل تداويننا فلم يُشف ما بنا  
على أن قرب الدار خير من البعد

على أن قرب الدار ليس بنافع  
إذا كان من تهواه ليس بذئ ود

وقام الارجاني: يسأل: أجااء النسيم، أتقولون إنه جاء  
ركب النسيم، انى:

إذا ماسرى ركب النسيم اعترضته  
لأخبار من أحببته متنسما

فيا ليل نجد ماصباحك عائدا  
ولكنّ من بالغور وهنأ تبسما

فصاح به — الطغرائي —:

أجّدك ماتنّفك بالغور ناشدا  
فؤادا بنجد يالقلبك من نجد

تمادى غرام ليس يجري إلى مدى  
وفرط سقام لايقم على حد

أقول لأنضاء الغرام عشية  
ببصرى وانضاء المطي بنا نخذي

اقيموا صدور العيس واستخبروا الصبا  
عن الحي بالجرعاء: مافعلوا بعدي

وماطاب نشر الريح الا وعندها  
أخبار من نجد وعن ساكني نجد

فصاحوا به : كلنا عاشق فلم تخص بالذكر نفسك؟

قال:

نظنون حالي في الهوى مثل حالكم  
وهيهات. اني في الهوى أمة وحدي

قال ابن الخطاط : أما أنا.

فلست على وجدي بأول عاشق  
أصابته سهام الحب حبة قلبه

وكان في القطار (اعرابي) لايزال يتلفت إلى  
الوراء... يحاول أن يخترق بنظره حجب الليل، فقالوا له:  
مالك وما الذي تحاول أن تراه؟ فقال:

أكرر طرفي نحو نجد وانني  
اليه وان لم يدرك الطرف انظر

حنينا إلى أرض كأن تراها  
إذا أمطرت، عود ومسك وعنبر

قالوا له : ولكنك لا ترجع من النظرة بطائل فقد أسود

الليل وغابت المشاهد. فقال:

وما نظري من نحو نجد بنافع  
أجل لاولسكني - على ذاك - أنظر

وطال السفر، ونام في المقاعد أكثر الشعراء، وبقي  
واحد قاعدا لا ينام فدنوت فقلت له: مالك لا تهجع كما  
هجعوا.

فأخبرني أنه يغار على حبيبته، يخاف إذا نام أن يزوره  
طيفها، فيراه من معه من أهل نجد:

واشفق من طيف الخيال إذا سرى  
مخافة أن يدري به ساكنو نجد

قلت: وما بلغ من حبك أياها؟  
فزفر زفرة زلزلت قلبه: واعرض عني كأنه نسيني  
وجعل يخاطبها يقول:

ومن فرط اشفاقي عليك يسرني  
سلوك عني خوف أن تجدي وجدني

وأرضى بأن تفديك نفسي من الردى  
ولكنني أخشى بكاءك من بعدي

قلت له: هذا عظيم، هذا الذي أراده الشعراء، فأخطأه  
أكثرهم. فحاموا ولم يلجوا ومشوا ولم يصلوا. قال:  
مذاهب شتى للمحبين في الهوى  
ولي مذهب فيهم أقول به وحدي

وكان الشريف متيقظا يسمع، فضحك.  
— فقلت : وما يضحك مولانا؟  
— قال : كل يدعى أن له مذهباً في الهوى وأنه إمام  
في شرعة الحب.

وما شرب العشاق الا بقيتي  
وما وردوا في الحب الا على وردي

وشغلنا عما كنا فيه (اعرابي) غيره، رأينا من وراء  
الزجاج، يعدو جملاً مهرىاً يحب به في الرمل، يحاول أن  
يسابق القطار. فعلمنا أنه ضالّ يسألنا عن الطريق،  
وأصغينا فسمعناه ينادي:

أصاح، أأهل من سبيل إلى نجد  
وريح الخزامى غضة من ثرى جعد

وهل لليالينا بذى الرمث رجعة  
فنشفي جوى الاحزان من لآعج الوجد

فتأملته فعرفته واذا به (الطرماح) فحيته وقلت:

— أما الطريق إلى نجد فهذه يا صديقي نجد، هذي روايتها وهذا نسيمها، وأما الليالي الماضية فهيها أن تجد السبيل إلى أن تعود إليها، أو تعود بها إليك، لا يرجع الماضي ولا يكشف المستقبل فاقنع بما أنت فيه فإن:

**مامضى فأت والمؤمل غيب  
ولك الساعة التي أنت فيها**

قال: وكأنه يقول لنفسه: لا والله مافات ولكن دون في كتاب لا يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فنسأل الله العفو عما مضى، والستر فيما هو آت.

ولوى عنق بغيره وولى وعيناه تنديان من الدمع.  
وسمعت من يذكر ابن نباته، فقلت أي الثلاثة هو؟  
الشاعر أم الخطيب. أم المتأخر عنها في زمانه وفي لسانه؟  
قالوا: هذا ابن نباته الكبير. كان شاعراً ولكن قربه من صاحبكم المتنبى كسف نوره كما كسف أنوار جماعة من الفحول.

فنظرت فاذا رجل عليه هبة، ينظر بعيداً ثم تبرق عيناه ويفتر ثغره عن ابتسامة ويقول: لقد أقبلوا.



قالوا : من هم. قال: وقد الشعراء،

حبذا القادمون من طرف الحـ  
ـزن ونجد منهم على ميعاد..

تتلقاهم بنشر الخزامى  
نفحات تشفى عليل الفؤاد

وامتلأ المكان بالوافدين. واختلطت الأصوات وسمعت  
اسم — المجنون —

وكل الناس مجنون ولكن  
على قدر الهوى اختلف الجنون

فكان ابن الملوح سيد المجانين، لأنه كان سيد العشاق  
ثم ميزت صوته يقول:

الا ليت شعري من عوارضتني قُبَا  
لطول التنائي هل تغيرتا بعدي

وهل جارتنا بالبتيل إلى الحمى  
على عهدنا أم لم تدوما على العهد

وعن غُلُويات للرياح اذا جرت  
بريح الخزامى، هل تهب إلى نجد

وعن اقحوان الرمل ماهو فاعل  
اذا هو أمسى ليلة بشرى جعد

فقالوا : مجنون يخلط بين نجد وقبا وما أبعد قبا من نجد.

فزجرهم عنه - التهامي - وقال له:

اسفح بنجد ماء عينك انها  
للعامة رية كل أرض دار

وعاد التهامي يقول لنفسه يذكر موقف وداع صاحباته  
وضما ورشفا...

لم ادر اذ ودعني أمقبّل  
لحلاوة في الريق أم مشتار

أبسنني سربال ضم ماله  
الا رؤوس نهودها أزار

قالوا: نسأل الله السلامة... من هذه الأزار  
وعزى نفسه الطغرائي ان هذا يصف الوداع الذي  
مضى وهو يأمل اللقاء الذي يأتي حين تستقر به الإقامة  
في نجد.

ياحبذا نجد واعراق الثرى  
لندن وأنفاس الربيع رفاق

فهواؤه خصر النسيم وتربيه  
حالي الاديم ومساؤه رقرار

ولساكنيه ان استقر بنا النوى  
تشفى النفوس وتمسك الارماق

واختلطت الأصوات ولم أعد أتبين الا أبياتا من  
مقطوعات، كلها في نجد. هذا أبو تمام أستاذ الشعراء  
جميعا - لاستثني المتنبي - يقول:

وانجبدتم من بعد اتهام داركم  
فيا دمع أنجدني على ساكني نجد

وهذا شيخ الشعراء الاسلاميين جرير يقول:  
أحب ثرى نجد وفي الغور حاجة  
فغار الهوى ياعبد قيس وانجدا

وهذا يقول:  
سقى الله نجدا والسلام على نجد  
وياحبذا نجد على القرب والبعد

وهذا هو الطرماح يهتف بنجد وينسى انه في نجد:

أصاح ألا هل من سبيل إلى نجد  
وريح الخزامي غضة من ثرى جعد

وهل للبالينا بذي الرمث مرجع  
فيشفي جوى الأحزان من لاعج الوجد

وكان في القوم رجل جاء من بعيد بعيد من وراء  
البحر العريض ليقوم في مهرجان نجد فيلقى فيه - كلمة  
الاندلس - قال ابن خفاجة:

باليل وجد ينجد  
أما لطيفك مسرى

وما لدمعي طليفا  
وانجسم الجرو اسرى

وقد طمى بحر ليل  
لم يعقب المد جزرا

لايمر الطرف فيه  
غير المجرة جسرا

وتغنى بها بنفحة من ألحان زرياب فأشجى من  
حضر... وذكر كل من أيامه ماغبر وقام (سبط ابن  
التعاويذي). يبكي ويسأل رفيقه أن يستعيرا عينين  
يكيان بها.

ونسى قول عبقرى الغزل اذ يقول (أرأيت عينا للدموع  
تعار).

قال: يارفيقي هل لذهاب أيام تقضت حميدة من مرد.

انجداني بوقفه في مغاني  
الحى أن جزئا بأعلام نجد

وابكياها بمقلتي واسألاها  
من سقاها ماء المدامع بعدي

فقلت له: ويحك، تسرق شعر مولانا الشريف، هذا  
البيت شريفى فأعده لصاحبه ولم يرد على، ولم يرد  
صاحباه عليه، وكان القطار قد تباطأ فى سفره ودنا من  
غايتة، فهما بالنزول فوثب الصمة بن عبد الله القشيري  
يمسك بهما ويقول لهما: قفا اتزلان لا تودعان نجداً، ان  
نجدا يستحق منكما أكثر من الوداع.

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى  
وقلّ لنجد عندنا أن يودّعا

بنفسي تلك الأرض ماأطيب الربا  
وما أحسن المصطاف والمتربعا

وأذكر أيام الحمى ثم انثنى  
على كبدي من خشية أن تصدعا

وسمعتنا من بعيد صوتا حزينا يتغني (أغنية الوداع).

تزوّد من شميم عرار نجد  
فما بعد العشية من عرار

فقال أحد الحاضرين منزل العامرية بشرفي نجد وما  
بلغناها، فصاح المجنون:

لا تقل دارها بشرفي نجد  
كل نجد للعامرية دار

## منشورات



مؤسسة

دار الأصاله للثقافة والنشر والإعلام

DAR AL ASSALA FOR CULTURE PUBLISHING AND INFORMATION

الرياض ص.ب ٤٢٢٤٨

- ١ - من تاريخنا - الطبعة الثالثة - محمد سعيد العامودي.
- ٢ - الشعر في البلاد السعودية في الغابر والحاضر - الطبعة الأولى - أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري .
- ٣ - الدين ضرورة حياة الإنسان - الطبعة الأولى - عبد الكريم الخطيب .
- ٤ - منهج الإسلام في تربية الجندي المسلم - الطبعة الأولى - دكتور محمد إبراهيم نصر .
- ٥ - الصنوبري . شاعر الطبيعة في العصر العباسي - الطبعة الأولى - صالح عبد الله التويجري.
- ٦ - الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية ١٢٠٠هـ - ١٣٥١هـ، الطبعة الأولى - عبد الله محمد أبوداهش.

- ٧ - شعراء ينبع وبنو ضمره - الطبعة الأولى -  
عبد الكريم محمود الخطيب.
- ٨ - موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر  
أبي العلاء المعري - الطبعة الأولى - دكتور  
زهدي صبري الخواجا.
- ٩ - حلم في نجد - الطبعة الأولى - علي الطنطاوي.

تطلب جميع منشورات الدار  
من المكتبات الكبرى بالمملكة



مطابع الفرزدق التجارية  
تلفون ٤٧٨٨٥١٠ الملز







0344777